أثر المناهج النقدية الحديثة

إبتسام مرهون الصفار

يقوم البحث على استقصاء ما كتب من رسائل وأطاريح جامعية في أقسام اللغة العربية في كليات الآداب والتربية في أكثر من عشر جامعات من جامعات العراق محاولة لتقديم صورة عن أثر المناهج النقدية الحديثة في الدراسة النقدية المعاصرة علها تكون أنموذجاً لدراسات أخرى يقوم بها غيرنا في قطر عربي آخر لتستكمل الصورة؛ مع الافتراض أن الجامعات العربية لا يمكن أن تكون بمعزل بعضها عن بعض، فضلاً عن قنوات الاتصال السريعة التي تربطها بجامعات العالم.

وإذا كان المقصود بالنقد العربي الحديث هو ذلك التيار الذي نشأ في الوطن العربي نتيجة للمثاقفة مع الغرب والذي يستمد كثيراً من أجهزته، وإجراءاته من المناهج النقدية الغربية[1]، فإن متابعة هذا التيار في الدراسات الجامعية يقدم صورة عن حيويته، وفاعليته في الأفق النقدي العربي الحديث.

ونستطيع متابعة المناهج النقدية الحديثة، والمفاهيم التي دخلت الوعي النقدي المعاصر من خلال دراسات تبنت مناهج بذاتها، أو اختارت مفاهيم نقدية أثارت انتباه الباحثين وراحوا يتبنون تأصيلها بحثاً عن جذورها أو ما يقاربها في الدرس النقدي والبلاغي العربي. واختار آخرون منهجاً معيناً ليطبقوه في دراسة ظاهرة فنية أو في شعر شاعر ما. مما يدل على حركة جادة في الدراسات النقدية الحديثة شملت حقول الأدب قديمه وحديثه. وسار هذا التوجه جنباً إلى جنب مع المناهج النقدية القديمة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الظاهرة تعد متأخرة في مواكبة الجديد من الاتجاهات النقدية. وقد قيل إن العرب لم يكتشفوا إلا في

السبعينات أي بعد أفول نجم البنوية. وردّ على هذا القول بأن العرب عرفوا أفكاراً بنيوية كثيرة، وتفاعلوا معها قبل هذا التاريخ[2]. وأن محمد مندور ربما يكون أول من أشار إلى النقد البنيوي في فرنسا دون أن يذكر المصطلح[3]، كما سنجد أن الكتابة في جزئيات أو مفاهيم النظريات النقدية الحديثة قد شاعت قبل شيوع الاتجاهات النقدية المتكاملة.

لقد قام عدد من الباحثين والنقاد بلفت نظر القارئ العربي إلى الوافد من المناهج النقدية الحديثة التي لم يألفها من قبل، فكان أول من حاول أن يفصل ذلك هو د. عبدالسلام المسدي في كتابه الأسلوب والأسلوبية نحو بديل ألسني للنقد الأدبي عام 1977. ومع وجود مقال لموريس أبو ناصر قبل كتاب المسدي نشره عام 1975 حول الأسلوبية وعلم الأسلوب[4] يبقى كتاب المسدي الأكثر تأثيراً ولفتاً للانتباه لمحدودية انتشار المجلة أو سعة انتشار الكتاب. وتبع المسدي كتابه هذا بدراسات تطبيقية، ودعا إلى إقامة قنطرة بين الفكر اللغوي الحديث والتراث الأدبي العربي[5].

وفي الثمانينات (1983) ترجم كاظم سعد الدين كتاب الأسلوب والأسلوبية[6] وفي العام ذاته كتب د. شكري عياد كتاب مدخل إلى علم الأسلوب أراد به أن يفتح باباً على نوع من الدراسة عرفه الأوروبيون منذ قرابة ثمانين عاماً، وأن يشير إلى ما بين هذا العلم الحديث وبلاغتنا من تلاقٍ وافتراق ليكون ذلك عدة للباحث ليخرج عن نطاق المحافظة على القديم، ويخرج عن طوق تقليد الوافد[7]. وترسيخاً لهذين الهدفين أصدر د. شكري سلسلة أخرى من الدراسات النقدية ابتدأها باتجاهات البحث الأسلوبي، دراسات أسلوبية، وتلتها دراسة أسلوبية.

ثم صدر كتاب البلاغة والأسلوبية لمحمد عبدالمطلب، وهي دراسة أثارت انتباه الباحثين، وتركت تأثيرها في توجههم نحو الدراسات النقدية والأسلوبية منها خاصة، ورسخت فكرة الدعوة إلى التقريب بين البلاغة

الأسلوبية الحديثة. بحيث تكون دراسة الأسلوب مستمدة من كونه فناً لغوياً، وأدبياً في آن واحد. ولعل من هذا التوجه هو كون الأسلوبية مقاربة للدرس البلاغي حين وجد الباحثون توافقاً بين عبدالقاهر الجرجاني والأسلوبيين في كثير من مباحثه[8]. ورأوا في دراسة الانزياح والعدول والصورة استمراراً لوقفات النقاد القدامى مع الاستفادة من المناهج النقدية الحديثة في الإفادة من التنظير الذي فتح آفاق التحليل والانتقاء.

من هنا اتجهت بحوث الدراسات العليا نحو تأصيل النظريات النقدية الحديثة وتأصيل المفاهيم والمصطلحات خاصة التي أثارت انتباههم في محاولة لتتسع جذورها أو مقارباتها في النقد العربي القديم. والبحث عن الشواهد التطبيقية التي تؤيد وجودها.

لقد درست إنعام فائق محمد المنهج الأسلوبي، وبينت مفاهيمه، ومعالمه وحاولت تأصيله في النقد العربي القديم، ونحت في دراستها منحى تطبيقياً من خلال متابعة الشواهد الشعرية التي وقف عندها النقاد العرب في رسالة نالت بها درجة الماجستير بعنوان (المنهج الأسلوبي في نقد الشعر عند العرب، دراسة تطبيقية) في كلية الآداب، جامعة بغداد 1993.

ودرس رحمن غركان عبادي (مقومات عمود الشعر الأسلوبية في النظرية والتطبيق) في أطروحة للدكتوراه عام 1998 من كلية الآداب بجامعة بغداد.

وهناك من تبنى الأسلوبية منهجاً، ونحا نحو تطبيقها على الشعر العربي القديم في محاولة للاستفادة من هذا المنهج النقدي، فكانت أطروحة الدكتوراه التي كتبتها سناء البياتي في دراسة شعر الغزل في العصر الأموي، دراسة أسلوبية (البناء الفني في شعر الحب العذري في العصر الأموي) عام 1989.

ووفق المنهج ذاته نوقشت رسالة دكتوراه ثانية عام 1996 للباحث

محمد سعيد الجبوري (البنية القصصية في الشعر الأموي، دراسة فنية أسلوبية) من كلية التربية، جامعة بغداد.

وهناك من اختار شاعراً ليقيم على شعره دراسة أسلوبية، فدرست وحيدة صالح حسون: (ديوان النابغة، دراسة في أسلوبه الشعري) عام 1980 في جامعة الكوفة.

واختارت نصرة الشمري: الخطاب الشعري عند بشار بن برد دراسة نصية عام 1993 من كلية الآداب، جامعة بغداد.

ودرست باحثة أخرى في الجامعة المستنصرية وهي أمينة الموسوي (شعر أبي فراس، دراسة أسلوبية) ونالت بها درجة الماجستير عام 1993 واختير شعر عمر بن أبي ربيعة ليدرس دراسة أسلوبية، اختارته أمل عبدالله سليمان في كلية الآداب، جامعة بغداد 1994، وأكملت رسالة أخرى دراسة شعر هذا الشاعر باختيار عنوان: خصائص أسلوب شعر عمر بن أبي ربيعة للباحثة رباب صالح حسن في كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

وهناك رسائل حملت عنوان شعر شاعر ما، ودرست من خلال فصول شعره. دراسة أسلوبية مثل دراسة خالد السامرائي عن شعر ذي الرمة في كلية الآداب، الجامعة المستنصرية 1997.

ويدخل ضمن هذا التوجه دراسات حملت عنوان خصائص شعر.. الأسلوب الشعري.. مثل:

- شعر الراعي النميري دراسة في الأسلوب الشعري - عباس صادق عبدالصاحب. في كلية الآداب، جامعة الكوفة 1997.
- خصائص الأسلوب عند العباس بن الأحنف في كلية التربية - ابن رشد 1997.

- مستويات الأداء الفني عند ابن الخياط ت 577هـ لمهند أحمد محمد في عام 1999.

أما أثر الأسلوبية في الدراسات النقدية في الأدب الحديث فقط ظهر في أكثر من رسالة. كتب كمال عبدالرزاق أطروحة دكتوراه عام 1995 عن البنيات الأسلوبية في مطولات الشعر العربي الحديث.

واختار آخرون دراسة البنى الأسلوبية في شعر شاعر معين فكان السياب محط أكثر من دراسة أسلوبية منها: البنى الأسلوبية في شعر السياب لحسن ناظم عودة من كلية التربية في الجامعة المستنصرية.

واختير من اليمن شعر البردوني، ليدرس دراسة أسلوبية اختاره سعد سالم سعيد الحريري في كلية الآداب الجامعة المستنصرية 1997.

ومن مصر اختارت ابتسام محمد رائد شعر صلاح عبدالصبور، دراسة أسلوبية، ودرسته في كلية التربية الجامعة المستنصرية 1997.

ومن مصر أيضاً اختارت عشتار داود محمد شعر محمود حسن إسماعيل لتدرسه دراسة أسلوبية في كلية التربية للبنات جامعة بغداد 1999.

وخصت البنيوية بكونها نظرية ومنهجاً عرف طريقه إلى النقد العربي الحديث برسالة كتبها مؤيد عباس العيثاوي في أطروحة دكتوراه من كلية التربية - ابن رشد/ جامعة بغداد.

أما نظرية التلقي فإنها قامت لإبراز دور القارئ في توجيه المعنى وفهمه وأن القراء المتعددين تختلف قراءاتهم لنص معين باختلاف ثقافاتهم، وتجاربهم، وتوجهاتهم الفكرية، وكان من الأطاريح الجادة في تتبع هذه النظرية أطروحة محمد مبارك فهي رائدة في توضيح معالم هذه النظرية، ومحاولة تأصيلها في موروثنا النقدي القديم، متابعاً الجهود النقدية القديمة، وفهم مواقف النقاد بكونهم قراء وذلك في رسالة

كتبها عام 1992 عن نظرية الاستجابة والتلقي في الأدب العربي، أتبعها برسالة جادة عام 1995 من كلية الآداب - جامعة بغداد عن القراءة ونظرية التلقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري.

وبعد أعوام أكملت باحثة من كلية التربية جهود محمد مبارك وهي نادية هنادي في رسالة ماجستير بعنوان (تعدد القراءة في النقد العربي القديم) في كلية التربية للبنات جامعة بغداد 1999.

حاولت هذه الدراسة تتبع ملامح نظرية التلقي، وتعدد القراءات في النقد العربي القديم، أما الدراسة التطبيقية التي تبنت نظرية التلقي فهي ما اختاره أحمد الناصري موضوعاً لأطروحته للدكتوراه حيث بحث عنها في شعر شاعر كبير من شعراء العربية وهو المتنبي، وذلك لكثرة الشراح الذين تناولوا شرح ديوانه، واختلفوا في بعض قصائده ومعانيه اختلافاً كبيراً وكان عنوان أطروحته (شروح ديوان المتنبي في ضوء، نظرية التلقي) في كلية التربية - ابن رشد 1997.

أما تطبيق هذه النظرية والبحث عنها في دراسة الشعر الحديث فقد ظهر في أطروحة سهام حسن خضير عن إشكالات تلقي الشعر العربي الحديث من (1945-1980) في كلية التربية للبنات عام 2000.

أما مفهوم الانزياح فقد شغل به عدد من الباحثين. وراحوا يبحثون في النتاج البلاغي والنقدي العربي ليلتمسوا جذوره، وتطبيقاته، فوجدوا العدول مصطلحاً نقدياً واضح الدلالات فيما تاثر من كتابات البلاغيين العرب كعبدالقاهر الجرجاني، وابن الأثير[9]، وغيرهما فعقدوا فصولاً في رسائلهم، أو خصوا الموضوع بدراسة متفردة مثل عمل عباس رشيد الدرة عن موضوع (الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب) وهو أطروحة دكتوراه.

وأما مفهوم التناص فقد تناوله سعد إبراهيم ليدرسه في النقد

العربي القديم والحديث في كلية التربية - ابن رشد جامعة بغداد 1997 بعنوان (التناص في نقد الشعر قديماً وحديثاً).

وقد طبق هذا المفهوم في أكثر من دراسة فدرست بيان شاكر الكبيسي (التناص في شعر الستينات) في كلية التربية جامعة الأنبار 1999.

ودرس رمضان محمود كريم (التناص في شعر إيليا حاوي) في كلية التربية للبنات عام 1998 ونال بها درجة الماجستير.

ومع التناص طبق مفهوم تداخل النصوص في الشعر الحديث فاختار فائز عبدالجبار جواد (الفنون في شعر يوسف الصائغ) في كلية التربية جامعة تكريت 1997.

إن هذا الكم من الرسائل والأطاريح التي تبنت تأصيل منهج نقدي حديث، أو تطبيقه على الشعر العربي قديمه وحديثه قد سبقته محاولات جادة لدراسة الجزئيات، وتطبيقها على شعر شاعر ما، أو مجموعة من الشعراء. وقد ارتأينا أن نبدأ بالكل ونعود إلى الجزئيات في بداية سبقته، واتضحت شيئاً فشيئاً حتى تكاملت وتبلورت لدراسة مناهج بعينها، وتأهيلها كما مر بنا.

ونعني بهذه الجزئيات كثرة الدراسات الجامعية التي عنيت بالبناء الفني بشكل عام، والبنى الجزئية بشكل خاص، كالصورة، والزمان والمكان، والرمز، وغيرها.

ويبدو إبراز اتجاه نقدي حديث وضح فيه إفادة باحثي الدراسات العليا هو الاتجاه المعنى بالبناء الفني بتحليل النص عند شاعر، أو مجموعة شعراء يجمعهم إطار زمني أو فني أو فكري.

ومن الموضوعات المبكرة في هذا الموضوع دراسة حياة حاسم عن (وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي) من كلية

الأداب - جامعة بغداد 1971، وهي وإن حملت مفهوماً حديثاً في النقد إلا أنها لم تتجاوز مفهوم النقاد العرب القدماء لوحدة القصيدة العربية.

وفي الثمانينات صدرت دراسات عنيت بالبناء الفني لمجاميع من الشعراء يضمهم إطار معين، مثل (بناء القصيدة عند الشعراء الرواد من أصحاب البديع) لجمال عبدالحميد جابر، نال بها الماجستير من الجامعة المستنصرية 1986.

وتحمل قصيدة الحرب بنى قد تكون حاملة لبنى لها ميزاتها وسماتها لذا اختارها أكثر من باحث لدراستها في إطار زمني واحد.

فدرس سعد عبدالحميد (البناء الفكري والفني لشعر الحرب عند العرب قبل الإسلام) وهي رسالة ماجستير في كلية الآداب - جامعة بغداد 1998.

واكملت هذا الموضوع دراسةآخرى لشعر الحرب في العصر العباسي تحديداً بـ (البناء الفني لقصيدة الحرب في القرن الثالث والرابع الهجريين) لسعيد حسون العنبكي (ماجستير في كلية الآداب - جامعة بغداد 1988).

وزاد عدد الدراسات - في مطلع التسعينات - التي تخص البناء الفني لمجاميع شعرية قبلية أو فكرية، أو موضوعية. فدرس (البناء الفني في شعر الفرسان والأجواد في عصر ما قبل الإسلام) درسته فائزة يحيى عاكف الخزرجي (ماجستير الآداب - جامعة بغداد 1990).

ويحمل شعر القبائل سمات لغوية خاصة، وبنى فنية قد تنفرد بها قصائد قبيلة دون غيرها. ويصدق هذا بشكل واضح في شعر الهذليين الذي جمعه أكثر من عالم وراوٍ عربي قديم، لإحساسهم أن له خصوصية فنية ولغوية كأبي عمرو الشيباني، والسكري، وابن حبيب، ممن عنوا بجمع شعر هذه القبيلة، لذلك عمد الباحث إياد عبدالمجيد إبراهيم ليبحث عن

(البناء الفني في شعر الهذليين) في أطروحة للدكتوراه عام 1990 (جامعة بغداد - كلية الآداب). ولما كانت النقائض متسمة بخصوصية تجعل شعر المتناقضين متقارباً بميزات مشتركة تتعلق ببنية القصيدة فإن تناولها في رسالة للماجستير له مسوّغاته الفنية خاصة إذا تذكرنا أن شرط النقائض هو أن يقوم الشاعر بنقض ما يقوله صاحبه معنىً معنى، وفكرة فكرة، وبالقافية والبحر نفسهما الذي أقام عليه الشاعر الأول قصيدته، فكتب عبدالعظيم رهيف خورشيد رسالة عن (البناء الفني لنقائض جرير والفرزدق) في كلية الآداب، جامعة بغداد 1992.

وفي عام 1993 درس (البناء الفني للمعلقات دراسة تحليلية للقصيدة في مرحلة ما قبل الإسلام) في رسالة للدكتوراه في الجامعة المستنصرية.

ومثل هذه العناية بمجموعة شعرية دراسة آخرين للبناء الفني لمجاميع شعرية في كتاب جمهرة أشعار العرب استناداً إلى حكم مسبق مفاده أن القرشي حين صنف القصائد إلى مجمهرات، ومذهبات، ومشوبات قد لمح صفات فنية مشتركة استدعت تصنيفها، فكان أن دُرس البناء الفني في المشوبات في جمهرة أشعار العرب في رسالة نال بها عثمان عبدالحليم درجة الماجستير في كلية التربية في جامعة الأنبار 1998.

وسجلت في عام 1999 رسالة ماجستير في كلية الآداب جامعة بغداد بعنوان القصائد المجمهرات (لعبد علي نوري، ولابد أنها قد نوقشت الآن).

ودرس البناء الفني لمجموعة أخرى من القصائد جمعها غرض شعري معين فكان أن درس سعد محمد علي (البناء الفني للقصيدة السياسية في العصر الأموي) ونال بها الماجستير من الجامعة المستنصرية عام 1993.

وفي عام 1996 درس نجم مجيد علي البناء الفني في شعر الغزل في العصر العباسي. وهي أطروحة دكتوراه من كلية الآداب - جامعة بغداد أكثر من سابقتها. وكان من الطبيعي أن نقرأ أسماء شعراء مشهورين عرفوا ببناء فني متميز، أفردهم عن معاصريهم أو من أتى بعدهم كما هو ملاحظ من شعر امرئ القيس، الذي كما قيل عنه أسبقهم بادرة، وأصحهم نادرة، وأنه فتح للشعراء باب المعاني المبتكرة. فدرس بناء شعره في رسالتين في سنتين متباعدتين. أولها كتبها إسماعيل عباس جاسم عام 1980، والثانية عام 1988 لعبدالحق حمادي ياسين، وكلاهما نال بها صاحبها الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد. ولعل تسويغ هذا التكرار مردّه إلى كون الثاني مستشعراً وجوب الكتابة في الموضوع ذاته مرة ثانية لاستكمال جوانبه، لما يحمله هذا الشاعر من مخبات العبقرية والتفرد التي تمكن الباحث من دراستها وفق ما تثريه الدراسات النقدية الحديثة، وتوجهه إليها. هذا إذا افترضنا حسن النية في معرفة الثاني بطبيعة عمل الأول.

وفي عام 1989 درست نصيرة أحمد الشمري: البناء الفني في شعر ابن الرمي، في رسالة للماجستير في كلية الآداب، جامعة بغداد.

وإذا كانت حصيلة الثمانينات ثلاث رسائل في البناء الفني فإن العقد الأخير من القرن العشرين شهد تزايداً كبيراً في عدد الدراسات التي حملت عنوان البناء الفني، أو التيار الشعري، أو البناء الشعري نذكر منها:

- البناء الشعري في قصيدة حسان بن ثابت لعروبة خليل إبراهيم، وهي أطروحة ماجستير من كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد 1991.
- التيار الشعري عند المتنبي لعلي كاظم أسد، وهي أطروحة دكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد 1991.

- البناء الشعري عند مسلم بن الوليد - عباس رشيدة الدرّة. وهي رسالة ماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد 1992.
- البناء الشعري عند الفرزدق لعلاء الدين المعاضيدي وهي رسالة ماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد 1992.
- التيار الشعري عند أبي تمام - نبيل محمد سلمان، وهي أطروحة دكتوراه أكمل فيها منهجه الذي بدأه في رسالته عن المتنبي 1994.
- البناء الفني عند جرير - ثائر حسن محمد الغرباوي، وهي رسالة ماجستير من كلية الآداب 1995.
- البناء الشعري عند السري الرفاء، لرميض مطر حمد، نال بها الماجستير من كلية التربية، جامعة الأنبار 1995.
- البناء الشعري في شعر ابن خفاجة لإسماعيل عباس جاسم، وهي رسالة ماجستير من كلية الآداب، الجامعة المستنصرية 1996.
- البناء الفني في شعر ابن دراج القسطلي. كتبتها ندى عسكر محمود الجبوري، ونالت بها الماجستير من جامعة بغداد 1998.
- البناء الفني في شعر المعتمد بن عباد لنادية محمود جمعة وهي رسالة ماجستير من كلية التربية للبنات، جامعة الأنبار 1998.

أما اتجاه دراسة الشعر الحديث بتتبع البناء الفني لشعر شاعر أو مجموعة من الشعراء فقد وجدناه في رسائل تناولت مجاميع من الشعر العربي الحديث موزعة على إقليم أو قطر بعينه، أو شاملة للعصر كله زماناً ومكاناً، أو تخصه لدراسة البناء الفني عند شاعر معين.

لقد تابع مرشد الزبيدي نقد الشعر العربي الحديث من خلال متابعة جهود النقاد والدارسين في دراسة البناء الفني في رسالة نال بها الماجستير، عنوانها البناء الفني للقصيدة في النقد العربي الحديث. في كلية الآداب، جامعة بغداد 1989.

أما عبدالكريم راضي جعفر فقد التفت إلى الشعر الوجداني في العراق ليدرسه دراسة فنية موضوعية في أطروحة نال بها الدكتوراه تحمل عنوان: البنية الموضوعية، والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق في كلية الآداب، جامعة بغداد 1991.

ودرس عبدالأمير محمد الكرار (البناء الفني في الشعر النجفي) في كلية التربية، جامعة الكوفة، ونال بعمله شهادة الدكتوراه عام 1996.

وضمن هذا التوجه درس لطيف محمد حسن الفضاء الشعري عند السياب، في جامعة الموصل 1994 ونال بعمله شهادة الدكتوراه.

ويعد البناء الموسيقي أهم بنى القصيدة العربية القديمة، وهي عند المتنبي تمثل خصوصية تشكل بنية فكرية وفنية ليست بمعزل عن البنى الأخرى، لذا درس محمد حسين كاظم الأعرجي (البنية الموسيقية في شعر المتنبي) ونال بها شهادة الماجستير من كلية التربية، جامعة بغداد 1990.

الصورة الفنية:

لقد التفت نقدنا القديم إلى الصورة الفنية، وعالجها معالجة تتناسب مع ظروفه التاريخية والبلاغية. فكان نتاج ذلك محاولات جادة لمعالجة الصورة الفنية في القرآن الكريم أولاً متجلية في جهود علماء أجلاء كالرماني والخطابي، والجرجاني من علماء البلاغة والإعجاز، والتفاتات الزمخشري الرائعة، وابن عطية من علماء التفسير.

وقد تبنى علماء محدثون، وباحثون أكاديميون دراسة الصورة الفنية وحاولوا تأهيلها والبحث عن جذورها في الدرس النقدي والبلاغي القديم. فكتب حفني ناصف عن (الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق)[10].

وكتب جابر أحمد عصفور عن (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي)[11].

إن متابعة ما كتب عن الصورة الفنية يدلنا على أن الدراسات التفصيلية التي خص بها الباحثون الصورة الفنية دخلت اهتمامات النقد الأدبي الحديث مع ما دخل إليه من مفاهيم نقدية حديثة.

ذكر دي لويس في كتابه الصورة الشعرية أن القصيدة ما هي إلا صورة شعرية مركبة من مجموعة من الصور الشعرية[12].

وعنيت الدراسة الأسلوبية بالصورة. فقد تحدث عنها جوزيف ميشال شريم[13] في المستوى الثالث الذي يخص اللفظ، وحدد مفهوم الصورة في الأسلوب في التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية.

وعدت الصورة والمجاز من أغزر الوسائل الأسلوبية وأعمقها[14].

وتعد دراسة محمد حسين الصغير الموسومة بـ (الصورة الأدبية في الشعر الأموي) من أوائل الدراسات الجامعية التي اختصت لدراسة الصورة، وقد نال بها درجة الماجستير من كلية الآداب 1975.

وإذا استثنينا كتاب سيد قطب عن التصوير الفني في القرآن الكريم فإن الدراسات التي سبقت دراسة الصغير هي دراسات نظرية عمدت إلى تأصيل مفهوم الصورة عند النقاد العرب القدامى[15].

ثم تلاها بأطروحة دكتوراه عن الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية عام 1981، وكلتاهما من جامعة بغداد - كلية الآداب.

وفي عام 1984 درست ساهرة عبدالكريم الصورة البيانية في الشعر العربي قبل الإسلام، وأثر البيئة فيه. وهي دراسة أقرب إلى الدراسة البلاغية، وفق معالجات النقاد العرب القدامى منها إلى دراسة الصورة وفق الدراسات النقدية الحديثة.

وهكذا كانت هذه الدراسات رائدة لعدد من الرسائل والأطاريح

التي خصت الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين، فضلاً عن تلك التي خصت لدراسة الصورة في الشعر العربي الحديث.

واختلفت مصطلحات الباحثين التي تناولها فمن الصورة الأدبية، إلى الصورة الشعرية، والتصوير الشعري. واتخذ بعضهم نمطاً معيناً من الصورة ليبحثها في شعر شاعر ما كالصورة المجازية أو السمعية أو البصرية، مما سنجده في الرسائل التي سنذكرها في أدناه:

- الصورة المجازية في شعر المتنبي - خليل رشيد فالح - نال بها درجة الدكتوراه من كلية الآداب - جامعة بغداد 1985.
- الصورة الفنية في شعر ابن المعتز - اسكندر فليح كامل، ونال بها درجة الماجستير من جامعة البصرة 1985.
- وفي الموضوع نفسه كتبت سنية أحمد الجبوري أطروحة دكتوراه في الجامعة المستنصرية بعنوان التصوير الشعري عند ابن المعتز، وذلك عام 1989.
- الصورة الشعرية عند لبيد العامري قسمت مدحت حسين نالت بها الماجستير من جامعة صلاح الدين 1990.
- الصورة الشعرية عند عدي بن الرقاع - رياح حافد فليح، ونال بها درجة الماجستير من جامعة الأنبار 1990.
- الصورة الشعرية عند ذي الرمة - عهود عبدالواحد العكيلي وهي رسالة ماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد 1990.
- الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام - صاحب خليل إبراهيم، وقد نال بها من الجامعة المستنصرية 1992.
- الصورة الاستعارية في شعر الأخطل، وهو موضوع نالت به الدكتوراه وجدان عبدالإله الصائغ من كلية الآداب، جامعة الموصل 1995.
- وفي العام نفسه التفتت باحثة إلى دراسة الصورة الفنية في النثر

العربي القديم وهي دلسوز جعفر البرزنجي من خلال تتبعها لـ (الصورة البيانية في المقامات البديعية والحريرية، والزينبية) نالت بها درجة الدكتوراه عام 1995.

- الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى - جوان عبدالقادر، نالت بها الماجستير من الجامعة المستنصرية 1996.

- الصورة البيانية في شعر ابن زيدون كتبتها زهراء عبدالحسين. وهي رسالة ماجستير أيضاً من الجامعة المستنصرية 1997.

- الصورة الشعرية عند النابغة الذبياني - عباس محمد رضا. ماجستير من كلية الآداب - جامعة بغداد.

- الصورة الفنة في شعر أوس بن حجر لأحمد محمد عبدالحميد، رسالة ماجستير من جامعة الأنبار 1998.

أما حضور مفهوم الصورة في دراسة الأدب الحديث فإنه بدا متأخراً عن حضوره في دراسة الأدب العربي القديم.

ففي عام 1987 درست بشرى موسى صالح الصورة الفنية بكونها معياراً في نقد الشعر العربي الحديث في أطروحة للدكتوراه من كلية الآداب - جامعة بغداد بعنوان: الصورة الفنية في نقد الشعر العربي الحديث.

وتوجه باحث آخر إلى الدراسة التطبيقية دراسة الصورة من خلال المذهب الواقعي لدراسة الأدب في أطروحة دكتوراه تحمل عنوان (حركة الواقع مصدراً للصورة الشعرية في الشعر العراقي الحديث). ونوقشت عام 1990.

ولم تتبع هذه الدراسة أطروحة أخرى ترصد الصورة في مجاميع شعرية لمدة زمنية محددة في العصر الحديث، أو في بلد معين، إنما توالت

الدراسات لتتبع أنماط الصور الأدبية عند الشعراء المحدثين أو المعاصرين كان منها:

- الصورة الفنية في شعر الرصافي - وليد عبدالحسين. وقد نوقشت عام 1985.
- الصورة الفنية في شعر البياتي، البواكير والخمسينات - عبدالستار عبدالله صالح، كلية الآداب جامعة الموصل 1986.

وخص شعر السياب بأطروحتين تدرسان الصورة هما:

- الصورة الشعرية عند السياب - عدنان محمد المحاذين. من جامعة بغداد 1986.
- الصورة الاستعارية في شعر السياب. من جامعة البصرة 1992 وخُصّت أكثر من دراسة لتتبع الصورة البيانية في شعر شاعر معين منها:
- الصورة البيانية في شعر عمر أبو ريشة - وجدان عبدالإله الصائغ من جامعة الموصل 1992 (ماجستير).
- الصورة البيانية في شعر علي محمد طه - شروق الطائي جامعة البصرة 1995.

الصورة البيانية في شعر عبدالله البردوني - حكمت جرجيس صالح من جامعة الموصل 1997.

وهناك مصطلحات ومفاهيم دخلت ميدان الدراسة النقدية، وفهمت من خلالها دلالات وتفسيرات كثيرة للظواهر الفنية واللغوية في الشعر، ودخلت في الأغوار جزئيات القصيدة العربية. فلم يعد ذكر الزمان والمكان يعنيان بعدين ظرفيين يحدد من خلالهما الشاعر حدوداً مكانية أو زمانية، إنما فهم عنهما دلالات رمزية ترسم أبعاداً فكرية أرادها الشاعر أو فهمها القارئ من خلال سياقات الأبيات الشعرية والقصيدة متكاملة. وما عاد الزمان والمكان في نظر الدارسين مجرد فضائين يشغلان

القصيدة العربية أو يؤطرانها إنما لابد من الوقوف عليهما لمعرفة أبعاد أكثر عمقاً من الظواهر السطحية لدلالتيهما.

من هنا درس عبدالإله الصائغ الزمن عند الشعراء قبل الإسلام في رسالة للماجستير من كلية الآداب 1981.

ودرست ساجدة هاشم الحيالي الزمن في الشعر الأموي، ونالت به درجة الدكتوراه من كلية التربية - ابن رشد عام 1995.

ودرس الزمن في شعر شاعر واحد كانت له نظرته المتفردة إلى الكون والوجود هو أبو العلاء المعري في رسالة عنوانها (الزمن في شعر أبي العلاء المعري)[16].

الزمان:

أما دراسة الزمن في الأدب الحديث فقد تناولته أكثر من دراسة جادة حددت معظمها لدراسة الشعر العربي في العراق خاصة لتيسير رصيده في مجموعة يضمها زمان واحد ومكان واحد، وأكثر من هذا يضمنها اتجاه فني متميز تلك هي مجموعة الشعراء الرواد لحركة الشعر الحديث والشعر الحر منه خاصة. لقد رصد سلام كاظم الأوسي مفهوم الزمن ودلالته عند شعراء شكلوا ظاهرة متميزة في الوطن العربي عامة والعراق خاصة وهم رواد الشعر الحديث في رسالة للماجستير تحمل عنوان (الزمن في شعر الرواد، السياب والبياتي، نازك الملائكة، وبلند الحيدري) عام 1990 جامعة بغداد - كلية التربية.

وفي الاتجاه نفسه بحث مسلم حسن من جامعة البصرة: (الزمن في الشعر العراقي المعاصر، ورواد الشعر الحر في البصرة) ماجستير عام [1990].

واكمل باحث ثالث دراسة الزمن في جيل ما بعد الرواد في رسالة

للماجستير عام 1996 من جامعة البصرة بعنوان (الزمن في الشعر العراقي الحديث جيل ما بعد 1958-1980).

أما سهام هاشم فقد درست مفهوم الزمن خارج إطار الإقليم وحركة الشعر الحر فقط إذ جعلت توجهها نحو (الزمن في الشعر العربي المعاصر) ونالت بدراستها شهادة الماجستير عام 1990.

المكان:

أما المكان فقد توجهت الدراسات النقدية في أواخر الثمانينات حيث كتب حيدر لازم عن (المكان في الشعر العربي قبل الإسلام) عام 1987 في كلية الآداب - جامعة بغداد.

وفي دراسة الأدب الحديث توجهت دراستان نحو السياب الأولى عام 1998 عن المكان ودلالاته في شعر السياب، كتبها محمد طالب البجاوي.

والثانية عام 2000 عن (دلالات المكان في شعر السياب، دراسة موضوعية بنيوية) كتبتها لمى محمد يونس.

والمدينة بأنماطها ورموزها تمثل شكلاً من أشكال المكان، ورمزاً من رموزه. وقد درسها محمد صابر من خلال شعر المدينة في شعر محمد عبدالمعطي حجازي عام 1986.

الرمز:

وتبقى العناية بالزمان والمكان جزءاً من التوجه النقدي لدراسة الرمز وهو توجه رصدناه في الدراسات التي كتبت في التسعينات من القرن العشرين إذ درس محمد صالح اليوزبكي (الرمز في الشعر العربي قبل الإسلام) في أطروحة للدكتوراه من جامعة الموصل عام 1992.

وتناول حسن جبار محمد الملامح الرمزية في الغزل العربي حتى نهاية العصر الأموي، في أطروحة للدكتوراه أيضاً عام 1992 (من كلية الآداب - بغداد).

وتبدو المعادلة لدراسة الرمز في الشعر العربي القديم واضحة في الباحثين لدراسته في الشعر العربي الحديث، إذ خُصَّت دراستان أيضاً لتناوله. الأولى في أطروحة للدكتوراه كتبها ثابت عبدالرزاق الألوسي بعنوان (ظاهرة الغموض في الشعر العربي المعاصر 1814-1967) من جامعة بغداد كلية الآداب عام 1985.

والثانية تناولت الظاهرة عند رواد الشعر الحر في العراق في رسالة للماجستير من جامعة البصرة عام 1990 بعنوان (الرمز في الشعر العراقي المعاصر، ورواد الشعر الحر).

القناع:

ودخل مفهوم القناع ساحة الدراسات النقدية الحديثة فطبقه باحث على شعر شاعر عرف ببنائه المتميز، ولغته الشعرية الخاصة التي تحتاج فعلاً إلى دراسات تتعمق في فهم معانيه وأفكاره التي تتمتع بأشكال مختلفة، ورموز متنوعة فجاء اختيار أسامة عبدالصاحب لـ (القناع في أدب أبي العلاء المعري) في الجامعة المستنصرية - كلية الآداب عام 1995.

أما دراسة هذا المفهوم في الدراسات النقدية للشعر الحديث فنجدها في دراسة الباحث رعد أحمد الزبيدي عن القناع في الشعر العربي الحديث. في شعر مرحلة الرواد - من الجامعة المستنصرية عام 1991.

وبعد عام (1992) تناول باحث آخر في أطروحة للدكتوراه (القناع في الشعر العراقي الحديث من عام 1945-1988) من جامعة الموصل - كلية الآداب.

الغربة:

والغربة من المصطلحات النقدية الحديثة التي توجه الباحثون مؤخراً لدراستها في الشعر العربي.

وكان حصتها رسالتان الأولى خصت لدراسة هذا المفهوم في الشعر العراقي (الغربة في الشعر العراقي الحديث) لفليح كريم الركابي عام 1996 في جامعة الكوفة.

والثانية توجهت لدراسة الغربة في الشعر الكويتي ذلك عام 1989 في رسالة أجيزت من جامعة البصرة بعنوان (الغربة والاغتراب في الشعر الكويتي والبحريني).

اللغة الشعرية:

وإذا كانت هذه الموضوعات التي درست البنى التفصيلية للقصيدة العربية، والمفاهيم النقدية المختلفة فإن دراسة اللغة الشعرية التي تنطق عن كل هذه المفاهيم، وتوضح رؤى الشاعر تصبح ضرورية وملحة فاللغة كما قيل (بنيان الأدب، وهيكله، وهي وعاء الخبرة الجمالية، ومحتواه، وبدون دراسة مقومات اللغة الأدبية، والمفردات الشعرية ليس هناك نقد موضوعي، ومنهجي وليس هناك خبرة جمالية تستند على أساس علمي)[17].

فاللغة الشعرية هي التي ترسم البناء الشعري، وتحدد البنى التفصيلية، والجزئية وترسمها من خلال إيحاء المفردات، والسياقات التي يختارها الشاعر فيشكل من خلالها صوره، وأخيلته، وإبداعاته الشعرية.

وفق هذا المنظور انكبَّ عدد من طلبة الدراسات العليا إلى لغة الشعر لدراستها من خلال مجاميع شعرية يضمها زمان واحد أو إقليم واحد، أو ربما توجه فني معين.

فكان من الرسائل المبكرة في هذا المجال أطروحة الدكتوراه التي كتبها صادق حسين كنيج في كلية الآداب - الجامعة المستنصرية عام 1979 بعنوان (لغة الشعر الأندلسي في عصر الخلافة).

وفي عام 1982 كتب جمال نجم العبيدي (لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين) في كلية الآداب، جامعة بغداد.

وأكملت باحثة ما كتب عن لغة الشعر الأندلسي حين اختارت مجموعة شعرية يعرضها كتاب مشهور في كتب الأدب العربي في الأندلس وهو كتاب الذخيرة فدرست (لغة الشعر في القصيدة الأندلسية في شعراء الذخيرة) في كلية الآداب عام 1990.

وقد قيل عن الفرزدق المقولة المشهورة أن لولا شعره لضاع ثلث اللغة، فحقّ لشعره أن تدرس لغته من خلال هذه المقولة القديمة، ومن خلال التوجه النقدي الحديث فكتب رحمن غركان عبادي في جامعة الكوفة عام 1995 (لغة الشعر عند الفرزدق).

وفي عام 1996 كتبت ثلاث رسائل عن لغة الشعر:

الأولى عن لغة الشعر في ديوان الحماسة - باب الحماسة، كتبها عبدالقادر علي باعيسى في جامعة الكوفة.

والثانية لغة الشعر عند البحتري، كتبها علي كامل دريب في الجامعة المستنصرية كلية الآداب.

والثالثة في الجامعة المستنصرية أيضاً بعنوان لغة الشعر في العصر الأموي. كتبتها زينب حديج.

وأخيراً كتبت ميساء صلاح ودّاي (لغة الشعر عند الأحوص) في كلية التربية جامعة الكوفة عام 1999.

أما لغة الشعر العربي الحديث فقد توجهت نحوه أكثر من دراسة:

الأولى تناولت (لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن

العشرين والحرب العالمية الثانية) كتبها عدنان حسين العوادي في كلية الآداب - جامعة بغداد 1983.

والثانية عن (لغة الشعر المهجري) كتبتها علية جاسم النجار ونالت بها شهادة الدكتوراه عام 1997 في كلية الآداب - جامعة بغداد.

وتناول ثلاثة باحثين لغة الشعر عند شاعر بعينه هي:

- لغة الشعر عند الجواهري - علي ناصر غالي - جامعة البصرة 1992.
- لغة أبي ماضي الشعرية - نوال كمال حسين - كلية البنات - الكوفة 1995.
- لغة الشعر عند كمال الحديثي - أرشد علي محمد - التربية - الجامعة المستنصرية 1996.

هذه هي أهم الاتجاهات التي استطعنا رصدها عن أثر المناهج النقدية الحديثة في دراسة الأدب العربي في الجامعات العراقية. حاولنا استقصاءها، والبحث عن ملامحها في توجهات الباحثين فيها. وهي ملامح تدل على أصالة الدرس النقدي الجامعي، وإذ نلمح فيها انتقاء للأساليب، ومفاهيمها، ومحاولة جادة لدراستها وفق ما ينسجم مع الذوق العربي، وتوجهات القراء، والباحثين.

وقد تبين أن كثيراً من هذه الدراسات ظلت متشبثة بالموروث النقدي العربي محاولة تصفية الأجواء النقدية من التطبيقات الموغلة بالتحليل والرموز الذي قد لا يستسيغه القارئ العربي إلى التحليل الدقيق المستفيد من المناهج النقدية الحديثة في دراسة الشعر العربي قديمه وحديثه. ويبقى السؤال مطروحاً هل تستطيع هذه التوجهات النقدية أن تنتج مناهج نقدية حديثة لا يقع فيها الباحثون مرة أخرى في التقليد - تقليد الدراسات النقدية الحديثة الرائدة؟ الجواب متروك للتوجهات الآتية في الدراسات النقدية المعاصرة.

الهوامش

1) المرجعيات العربية في النظرية النقدية الحديثة ص 1.

2) أمتعة النص 39-41.

3) في الميزان الجديد 185 (طبع سنة 1944). وانظر المرجعيات ص 8.

4) مجلة الثقافة العربية، طرابلس، السنة الثانية، أيلول 1975 ص 240 عن الأسلوبية ونظرية النص (المقدمة).

5) نظرية البنائية في النقد الأدبي ص 8.

6) نشره في بغداد عام 1983.

7) اتجاهات البحث الأسلوبي (المقدمة).

8) البلاغة والأسلوبية: 4.

9) ينظر في هذا مثلاً: التفكير البلاغي عند العرب - حمادي حيمور ص 681.

10) طبع عام 1965.

11) طبع عام 1972. وانظر الصورة الفنية في الشعر الجاهلي نصرت عبدالرحمن والصورة الفنية معياراً نقدياً - عبدالإله الصائغ 1987، الصور والبناء الشعري د. محمد حسين عبدالله، دار المعارف، القاهرة 1981.

12) الصورة الشعرية، وانظر النقد التطبيقي التحليلي لعدنان عبدالله، دار الشؤون الثقافية، بغداد ص 19.

13) دليل الدراسات الأسلوبية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

14) نظرية الأدب 164.

15) مثل دراسة مصطفى ناصف عن الصورة الأدبية. مصر، المكتبة الأدبية، 1958، الصورة البديعية بين النظرية والتطبيق للدكتور حفني محمد شرف. مطبعة الرسالة 1966.

محمد جابر عصفور في دراسته للصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، مصر، دار الثقافة 1974. أما الدراستان الرائدتان اللتان نهجتا النهج التطبيقي في دراسة الصورة الأدبية فهما أيضاً لاحقتان لدراسة الصغير فالأولى: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي للدكتور نصرت عبدالرحمن فقد طبعت عام 1976 (بمعنى أنها لم تكن متوافرة للباحثين وإن كانت اجازتها عام 1972). وأما الثانية فهي الصورة الفنة في شعر أبي تمام لعبدالقادر الرباعي التي نال بها الماجستير من جامعة القاهرة عام 1979 وطبعت عام 1980.

16) كتبها إبراهيم مسلم لفتة ونال بها الدكتوراه عام 1997 من كلية التربية - جامعة بغداد.

17) النقد التطبيقي 21.